

الحمد لله رب العالمين
حافظ لنا هذا الدين والقرآن الكريم من التحريف والتبديل والتغير
واصلي واسلم على علم الهدى وإمام التقى محمد صلى الله عليه وسلم
النبي والرسول الأمين
وعلى آل بيته وصحبه أجمعين
أما بعد

حقيقة الكتاب المقدس

قبل أن نبدأ حديثنا عن حقيقة الكتاب المقدس لابد وأن نتوقف قليلاً أمام أقسامه ونتعرف على تكوينه.
والكتاب المقدس يتكون من قسمين رئيسيين هما:
العهد القديم والعهد الجديد.

"العهد القديم":

اسم أطلقه المسيحيون الأوائل على الأسفار المقدسة لدى اليهود؛
ليشيروا بذلك إلى أن هناك عهداً آخر جديداً يتكون من الأسفار المسيحية
(الأنجيل الأربعة: متى، لوقا، مرقس، يوحنا، وبعض الرسائل والرؤى المقدسة لديهم).
أما هذه التسمية فيرفضها اليهود ويسمون أسفارهم التي يؤمنون بها: (التوراة، الأنبياء، الكتابات).
و التوراة:

كلمة عبرية معناها الشريعة وتتكون من خمسة أسفار هي: (التكوين، الخروج، التثنية، الأحبار أو اللاويين، العدد).
وبعد التوراة يأتي القسم الثاني من العهد القديم وهو (الأنبياء) وهذا القسم يسير في نسق تاريخي متصل مع التوراة
ويتحدث عن أنبياء بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام. ثم تأتي بعد ذلك الكتابات أو كتب (الحكمة): وهي
مجموعة كتابات يغلب عليها الطابع الأدبي، ولا علاقة لها بالسرد التاريخي.
ويؤمن المسيحيون بالكتاب المقدس كله بعهديه (العهد القديم والجديد) وإن ترددت كل فرقة من فرقهم في الإيمان
ببعض أسفاره وبيعض أجزائها من عصر إلى آخر.
أما اليهود فمنهم من يؤمن بالتوراة فقط، ومنهم من يؤمن بالعهد القديم كله على تردد بينهم أيضاً في الإيمان ببعض
أسفاره وبيعض أجزائها من عصر إلى آخر.

ومن ثمة فكل طعن في أي سفر من أسفار (العهد القديم) يعد طعناً في دين كل من يؤمن به من اليهود والنصارى؛
أما الطعن في أي سفر من أسفار العهد الجديد فهو طعن في دين من يؤمن به وهم من النصارى فقط.

إشكالية تدوين الكتاب المقدس

يزعم بعض من رجال الدين اليهودي والمسيحي أن أسفارهم المقدسة والتي هي بحوزتهم الآن وحي إلهي، معصومة
من الخطأ، محفوظة من التحريف.
وهي دعوى باطلة فليس في مخطوطات الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد مخطوط واحد بخط المؤلف نفسه.
بل إن أقدم نسخ وصلت عصرنا هذا للعهد الجديد كتبت في القرن الرابع من ميلاد المسيح عليه السلام. ولا يتعدى
تاريخ أقدم مخطوطات العهد القديم التي وصلت عصرنا هذا القرن التاسع الميلادي، أي بعد وفاة موسى عليه السلام
بأكثر من ألفي عام.

وليس بمقدور أحد في عصرنا الراهن أن يحدد بالضبط تاريخ تدوين كل سفر من أسفار الكتاب المقدس، ولا يعلم
أحد في أيدي من وقعت هذه الأسفار قبل أن تصل إلى عهدنا هذا؟! . . . **وما عدالة من وقعت تحت يده؟! . . . وهل هو**
محب للدين أم عدو له؟! . . . وممن جاءت أقدم مخطوطات الكتاب المقدس والتي وجد لها عدد من النسخ المتباينة؟! . .
. . فليس على وجه الأرض إنسان يروي سفرًا من أسفار الكتاب المقدس عدلاً عن عدل؛ بل إن البشرية في عصرنا

هذا تجهل تماماً مؤلفي كثير من أسفار الكتاب المقدس، ومن ناحية أخرى لا يدري أحد في أية مناسبة وفي أي مكان كتبت هذه الأسفار التي لا يعرف أحد مؤلفيها الحقيقيين.

فبالنسبة لأسفار موسى الخمسة مثلاً وهي أهم جزء في العهد القديم، بل والجزء الوحيد في الكتاب المقدس الذي يجمع على الإيمان به كل من اليهود والنصارى بفرقهم المختلفة يرى ابن عزرا أن كاتبها إنسان آخر عاش بعد موسى - عليه السلام - بمدة طويلة، ويعلل ذلك بأمر منها: إن سفر موسى كان مكتوباً على حائط المعبد الذي لم يتجاوز اثني عشر حجراً؛ أي أن السفر كان أصغر بكثير مما لدينا الآن، وإن الأسفار مكتوبة بضمير الغائب لا بضمير المتكلم، كما إن الرواية مستمرة في الزمان حتى بعد وفاة موسى عليه السلام.

بل إن نص التوراة الذي يذكر خبر وفاة موسى - عليه السلام - : "فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم" سفر التثنية. هذا النص لا يكشف لنا فقط عن أن موسى عليه السلام ليس هو كاتبه بقدر ما يكشف لنا أنه عليه السلام قد مات قبل كتابته بزمان طويل اجتاحتها كثير من الأحداث كانت بلا شك كافية لضياح الشريعة كما كانت كافية لأن لا يعرف أحد مكان قبر صاحب الشريعة - عليه السلام - عند كتابة ذلك النص من التوراة رغم محاولة النص تحديد المكان بدقة بأنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور.

ومن ثمة تعلق نسبة هذه الأسفار الخمسة لموسى عليه السلام لا لأنه كاتبها ولكن لأنه الشخصية الرئيسة التي يدور حولها السفر كله، وكذلك الحال بالنسبة لباقي أسفار الكتاب المقدس.

وبالنسبة للعهد الجديد فإن عدم نسبة أي سفر من أسفاره إلى عيسى عليه السلام من الأمور التي لا خلاف عليها، ولا يمكن بالطبع أن يكون عيسى عليه السلام - هو الذي كتب قصة الصلب وما تلاها من أحداث كما هو موجود في الإنجيل.

إشكالية نسخ الكتاب المقدس وترجمته

أضف إلى ذلك أن اليهود والنصارى لا يملكون في عصرنا الراهن كثيراً من أسفار كتابهم المقدس في لغتها الأصلية: لا في لغة وحياها، ولا حتى في لغة كاتبها، بل إنهم ليسوا على يقين من اللغة الأصلية التي كتبت بها بعض الأسفار. وجل ما لديهم من أسفار مقدسة إنما هي تراجم، والترجمة بإجماع المتخصصين ما هي إلا انعكاس لفهم المترجم للنص، أي هي نوع من التفسير، ولا يمكن لأية ترجمة مهما كانت دقتها أن تنقل جميع دلالات النص الأصلي القريبة والبعيدة، فلكل لغة خصائصها الفريدة؛ فاللغة اليونانية مثلاً والتي وجد بها كثير من مخطوطات الكتاب المقدس المهمة والفريدة، لم تكن أمينة في نقل ألفاظ اللغة العبرية: لغة عيسى وأنبياء العهد القديم عليهم السلام أجمعين؛ فهذه اللغة غير قادرة على نقل الحروف الحلقية والحنجرية، كما أنها لا تميز الحروف الصافرة والمسرة في اللغات السامية مما نشأ عنه خلط كبير في الأسماء.

ثم إن الكلمة في اللغة قد تحمل أكثر من معنى وظل للمعنى، والترجمة إنما تأتي بلفظ يعبر عن أحد هذه المعاني فقط وهو ما يرشحه السياق من وجهة نظر المترجم - ولا يمكن أن يعبر عنها جميعاً؛ وإذا به يعبر عنه وعن معان أخرى وظلال معنوية جديدة، وربما أخذ أحد هذه المعاني الجديدة ليترجم مرة أخرى إلى لغة أخرى بلفظ يعبر عنه وعن معان جديدة أيضاً وظلال أخرى للمعنى وهكذا، ومع كثرة الترجمة عن لغة من لغة إلى لغة تبعد العلاقة بين النص الأصلي والنص النهائي مهما كان حرص المترجم.

وربما كان ذلك سبب اختلاف كثير من تراجم الكتاب المقدس حتى في أهم الموضوعات العقديّة؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر؛ فالمقام لا يتسع إلا للتمثيل فقط: الفقرة (13) في الأصحاح (21) من سفر إشعياء والتي يرى فيها كثير من المسلمين بشارة بالنبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم نجدها هكذا في التراجم اليهودية والمسيحية المختلفة

- 1- "وحي من جهة بلاد العرب" . . وهي ترجمة جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأدنى.
- 2- "نبوءة بشأن شبه الجزيرة العربية" . . وهي ترجمة كتاب الحياة المطبوع مع التفسير التطبيقي للكتاب المقدس.
- 3- "قول على العربية" . . وهي ترجمة طبعة دار المشرق اعتماد بولس باسيم.
- 4- "The Arabia upon burden" . أي "عبء أو عناء على جزيرة العرب" وهي ترجمة نسخة الملك جيمس King James Version.

بالشر"!!!.

وفي سفر إشعيا

ورد على لسان إشعيا عليه السلام مقررًا بني إسرائيل قائلاً لهم: "يا لتحريفكم"!!!.

وفي سفر إرميا ورد على لسان الرب مخاطبًا بني إسرائيل: "أما وحي الرب فلا تذكره بعد؛ لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه، إذ قد حرقتم كلام الإله الحي رب الجنود إلهاً".

وفيه أيضاً ورد على لسان الرب: "كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا؟! إن قلم الكتبة الكاذب حولها إلى الكذب". . . وقوله "قلم الكتبة" يبين أن التحريف في المنزل لا في المتأول فقط كما يزعم بعض علماء أهل الكتاب.

بل إن الشهادة على التحريف هذه لا يقتصر وجودها على أسفار الكتاب المقدس بل تمتد لتشمل كل الكتابات المقدسة في اليهودية والمسيحية؛ ففي رسالة عبدة الأوثان من التلمود البابلي في الفصل الأول من غمارا المشنا السادسة يقول الحاخام حسدا لأبمي: "لدينا تقليد يقول إن رسالة عبدة الأوثان لأبينا إبراهيم كانت تشمل أربعمئة فصل لكننا لا نمتلك منها سوى خمسة فقط وحتى هذه لا نعتبرها مفهومة تماماً".

وفي سفر الخمسينات من مخطوطات البحر الميت ورد على لسان الرب مخاطبًا موسى عليه السلام عن بني إسرائيل قائلاً: "سينسون شريعتي كلها ووصاياي كلها وأحكامي كلها".

وتحت وطأة ضغط العقل والعلم في عصرنا هذا اضطر عديد من علماء الكتاب المقدس إلى الاعتراف بعدم عصمته.

يقول فيليب شاف في مقارنته بين العهد الجديد باليونانية وبين الترجمة الإنجليزية: "إن 400 قراءة فقط من 150 ألفاً من القراءات المختلفة للعهد الجديد تشكل الشك في المعنى منها خمسون فقط لها أهمية عظيمة". . . فصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم: "وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم". النور: 51.

ويقول د/ وليام رالف إنج في كتابه World: the in Church eht "إنه لمن الواجب علينا أن نتخلى عن فكرة المعصومين: الكنيسة المعصومة، والكتاب المعصوم؛ فليست واحدة منهما بالصحيحة".

وحديثاً أعلن الفرع الرئيسي للكنيسة المشيخية في الولايات المتحدة الأمريكية: أنه لا يعتبر الكتاب المقدس منزهاً عن الخطأ. راجع صحيفة النيويورك تايمز عدد 25 لسنة 6691م.

وهذا الأمر يدخلنا في الواقع إلى لب الموضوع؛ فإذا كان الكتاب المقدس بوضعه الحالي هو كلمة الله تعالى - كما يزعمون - وكان غير منزه عن الخطأ - كما يعترفون - فيما أن يكون الله تعالى غير منزه عن الخطأ باعتبار مصدر الخطأ في الكتاب المقدس، وفي ذلك طعن في ألوهيته تعالى يتأدى إلى بطلان جميع الشرائع؛ وإما أن يكون الله تعالى منزهاً عن الخطأ ومن ثمة ترجع أخطاء الكتاب المقدس إلى تحريف البشر وهذا ما يختاره الكتاب المقدس نفسه؛ يقول بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية: "إن كان قوم غير أمناء، فهل عدم أمانتهم يبطل أمانة الله؟ حاشا! بل ليكن الله صادقاً وكل إنسان كاذباً".

وبناء على ذلك يكون البشر في حاجة إلى كلمة أخرى من الله تعالى بعد الكتاب المقدس، وهذا منطوق العقل كما أنه منطوق الكتاب المقدس نفسه والذي يعلنه بوضوح: "لو كان ذلك الأول بلا عيب لما طلب موضع لثان" الرسالة إلى العبرانيين. ويؤكد عليه بقوله: "إنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها" السابق. ويعلله بـ "أن الله ليس إله تشويش بل إله سلام" الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس .

وللحديث بقية في السلسلة

كاتب المقالة : منقول

تاريخ النشر : 27/12/2010

من موقع : موقع الشيخ الدكتور/ محمد فرج الأصفر

رابط الموقع : www.mohammdfarag.com